مقارنة بين التفسير المعاصر والتفسير الموضوعى

حجة الاسلام السيد سعيد الأعرجي
باحث في الشؤون الشرعية
الجمهورية العراقية

بسم‌الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد و على آله الطيبين الطاهرين و بعد.

قبل الخوض فى موضوع التفسير المعاصر والتفسير الموضوعي لابّد لنا ان نتقدم على البحث بهذه المقدمة ونضع الخطوط العريضة للمنهج الذى سنسلكه فى سبيل الوصول الى ما نستطيعه من كشف علاقة التفسير المعاصر بمناهج التفسير سابقا وجذورها التاريخيه وكذلك علاقتها بالتفسير الموضوعى بحيث يتعرض هذا البحث الى محاور اساسية ثلاثة هى:

اولاً: ما هو مدى الحاجة الى التفاسير المعاصرة فى يومنا هذا ونماذج منها

ثانياً: مقارنة بين التفسير المعاصر والتفسير الموضوعي

ثالثاً: التحقيق حول الآية المباركة آية البيان قال تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) آل عمران ٣ / آية رقم ١٣٨

هل ان هذه الآية عامة وشامله لكل القرآن أم انها اشارة الى مجموعة خاصة من

الآيات. فنحن نجد في يومنا هذا حيث التطور العلمي والاكتشافات في شتىٰ مناحي الحياة الفكرية والثقافية والعلمية و غيرها كثير مما ساعد علىٰ اظهار الاعجاز القرآني على كل ابوابه البلاغية والادبية والعلميةالتشريعية واللغوية حيث اصبح من متطلبات العصر البالغة ان يستوعب القرآن كل هذه النواحي وان يعالج ما استجد من امور ومشاكل العصر التى يعج بها فى كل حدب وصوب فمن هنا كان لزاماً ان تكون هناك دراسات علمية قرآنية معاصرة وتسليط الاضواء على التفسير المعاصر وكذلك ماهي الحاجات الآنيّة الىٰ التفاسير المعاصرة وتسليط الاضواء على التفسير بين ماضيه وحاضره وماهى صفات ومميزات التفسير المعاصر وكذلك تسليط الضوء على التفسير الموضوعى ثم نفحات القرآن وانماط التفسير العصري ومدى أهمية التفسير الموضوعى وبيان آية البيان حيث آراء العلماء والمفسرين فيها سيما كتاب التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب.

فالتفسير المعاصر يُعَدُّ تفسير الحاضر والمستقبل والبحث فيه لايزال الشغل الشاغل لذوي الاختصاص.

كما ان التفسير الموضوعي هو ايضاً كذلك.

و قد اعتمدتُ المصادر المتيسرة راجيا ان يكون أدى الغرض وما أصبو اليه وقد بلغ شأواً لابأس به مما يلمسه كل متدبر لآيات القرآن الكريم ووفاؤه لحاجات البشر فى مختلف عصورهم وتلوين افهامهم لآيات الكتاب العزيز وتنويع الاستنباطات من اولياته الطبيعية وخاصة

الآيات التى تتحدث عن الكون الحياة والانسان. لذا كان علماؤنا الاجلاّء الذين افنوا حياتهم خدمة للعلم واخلاصاً للحق والحقيقة من السلف الصالح يتركون المجال للقول الجديد ويحصرون دلالات الآيات في حدود وأطرفهم بل يسوقون الاقوال العديدة فى تفسير الآية الواحدة بل العبارة او المفردة من الآية الواحدة وغير مثال نضربه هو تفسير مجمع البيان وقد كثرت الكتابات فى الآونة الاخيرة خاصه فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم ولكن القليل منها تناول الجانب المنهجي بل اكتفت اغلبها بالدراسات التطبيقية.

فما كان من سداد وصواب فمن الله سبحانه و ما كان من خطأ واشتباه فمن عندي و

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. سيد سعيد الاعرجي

دراسات قرآنية معاصرة

أقبل الباحثون والكاتبون المعاصرون على القرآن الكريم ووقفوا امام موضوعاته وقفات مطوّلة والّفوا عدداً من الدراسات القرآنية المعاصرة وكثرت هذه الدراسات القرآنية المعاصرة كثرةً ملحوظة وما زالت هذه الدراسات القرآنيه تتابع ولعل الظرف الخاصّ الذي يعيشه المسلمون فى هذا العصر هو الذي دفع المفكرين والباحثين الى الاقبال على القرآن الكتابة فى موضوعاته.

ان من أبرز سمات هذا العصر أنه شهد التآمر على الخلافة الاسلامية وهدمها وهجمة اعداء الاسلام من الصليبين واليهود وغيرهم على الاسلام والمسلمين وغربة الأجيال الجديدة من المسلمين على مباديء الاسلام وحقائق القرآن وانتشار أفكار مناقضة للقرآن بين المسلمين ووجود حركات ودعوات وجماعات اسلامية تعمل على استئناف الحياة الاسلامية من جديد.

هذه السمات دفعت بالعلماء والباحثين الى الاقبال على القرآن واصدار دراسات قرآنية حوله عندما نتكلم عن الدراسات القرآنية المعاصرة القريبة من التفسير الموضوعي والذى نتكلم عنه ـ قريباً ـ فاننا نعني تلك الكتب والدراسات الخاصة بموضوعات وافكار وحقائق توجيهات القرآن والتي تدور حول القرآن لاتخرج عنه الى باقى مصادر الاسلام الاخرىٰ كالحديث والفقه والعقيدة والتأريخ واللغة وغير ذلك اذا بقي الكاتب مع القرآن وحقائقه فأن دراسته تكون دراسة قرآنية اما اذا خرج الكاتب الى الحديث او العقيدة او الفقه او التأريخ فأن دراسته تكون دراسة اسلامية وليست دراسة قرآنية لانه يتكلم عن الاسلام بمفهومه الاشمل ليس عن القرآن بمفهومه وموضوعه الاقصىٰ. ولهذا تقرر ان الدراسات الاسلامية العامة الشامله ليست دراسات قرآنية خاصة وليست قريبة من التفسير الموضوعي مع أنها صورة من صور الفكر الاسلامي المعاصر من الدراسات

القرآنية المعصرة.. وهي كثيرة جدّاً على سبيل المثال (الانسان في القرآن) و(المرأة فى القرآن) لعباس محمود العقاد ومنها (التفسير العلمى للآيات الكونية) لحنفي أحمد.. ومنها (اليهود فى القرآن) لحمد عزة دروزة ولعفيف طبارة ومنها (خصائص التصور الاسلامي) و(مقومات التصور الاسلامي) و(و معالم فى الطريق) لسيد قطب

و منها (ظاهرة النفاق فى القرآن) لعبد الرحمن حبنكة الميداني ومنها (متشابه القرآن دراسة موضوعية) للدكتور عدنان زرزور ومنها الانسان فى القرآن الكريم للدكتور محمد لطفي الصباغ وهكذا.

هذه الدراسات القرآنية ليست نماذج لدراسات تمثل التفسير الموضوعى لأنها لاتسير على الخطة النموذجية للتفسير الموضوعي، ولا تلتزم بالمنهج الموضوعي للتفسير الموضوعي و لهذا تعتبر دراسات قرآنية نافعة تبحث عن بعض موضوعات القرآن وتعرض بعض حقائق وتوجيهات القرآن

التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق د.صلاح عبدالفتاح ص ٣٦-٣٧

(التفسير وألوانه في العصر الحديث)

التفسير بين ماضيه وحاضره:

لم يترك الاوائل للأواخر جهداً كبيراً في تفسير كتاب الله. والكشف عن معانيه ومراميه اذ انهم نظروا الى القرآن باعتباره دستورهم الذي جمع لهم بين سعادة الدنيا والآخرة فتناولوه من اول نزوله بدراستهم التفسيرية التحليلية دراسة سارت مع الزمن على تدرج ملحوظ وتلّون بألوان مختلفة مّرت فى حياتنا العلمية وماوصلنا اليه في دراستنا وقراءتنا الواسعة المستفيضة.

و الذي يقرأ كتب التفسير على اختلاف ألوانها. لايدخله شك في ان كل ما متعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفّاه هؤلاء المفسرون الاقدمون حقّه من البحث والتحقيق من الناحية اللغوية والناحية البلاغية والناحية الادبية والناحية النحوية والناحية الفقهية والناحية المذهبية والناحية الكونية الفلسفية.

كل هذه النواحي وغيرها تناولها المفسرون الأول بتوسع ظاهر ملموس. لم يُترك لمن جاء بعدهم ـ الى ماقبل عصرنا بقليل ـ من عمل جديد او أثر مبتكر يقومون به فى تفاسيرهم التي ألفوها اللهم الّا عملاً ضئيلاً لايعدو ان يكون جمعاً لاقوال المتقدمين أو شرحاً لغامضها أو نقداً وتنفيذاً لما يصوره الضعف منها أو ترجيحاً لرأي على رأي مما جعل التفسير يقف وقفة طويلة ملئية بالركود. خالية من التجديد والابتكار. التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ج٢ ص ٥٣٢

مميزات التفسير في العصر الحديث

لقد بقي التفسير واقفاً في مرحلة ركود وجمود لايتعداهما ولايحاول التخلص منهما حتىٰ جاء عصر النهضة العلمية الحديثة فأتجهت انظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير الىٰ ان يحرروا من قيد هذا الركود ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود فنظروا في كتاب الله نظرة وان كان لها اعتماد كبير على ماكتبه ودوّنه الأوائل في التفسير أثّرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيراً لايسعنا انكاره ذلك هو العمل على التخلُّص من كل هذه

الاستطرادات العلمية التى حشرت في التفسير حشراً مزجت به على ضرورة غير لازمة والعمل على تنقية التفسير من القصص الاسرائيلي الذي كاد يذهب بجمال القرآن وجلاله وتخليصه مما جاء فيه من الاحاديث الضعيفة او الموضوعة على رسول اللّه ﴿ﷺ﴾.

والباس التفسير ثوباً أدبياً اجتماعياً يُظهر روعة القرآن ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية والتوفيق بجدّ بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جَدَّ من نظريات علمية صحيحة على تفاوت بين الموقفين في الغلو والاعتدال وكان ذلك من أجل أن يعرف المسلمون وغير المسلمين أن القرآن هوالكتاب الخالد الذي يتمشى مع الزمن في جميع اطواره ومراحله وهناك غير هٰذهِ الآثار آثار أُخرى ظهرت في الاتجاه التفسيري في هذا العصر الحديث نشأت عن عوامل مختلفة أهمها: التوسع العلمي والتأثر بالمذهب والعقيدة والالحاد الذي قام على حرية الرأي الفاسد.

نفس المصدر السابق ج ٢ ص٥٣٣-٥٣٢

الحاجات الآنيّة الى التفاسير المعاصرة ونماذج منها:

رغم كثرة التفسير السابقة الا أنها لم تأت على كل معاني القرآن ورغم جهود علمائنا المفسرين السابقين الجليلة ونظراتهم النافذة الثاقبة في القرآن إلا أنّهم لم يستوعبوا كلَّ ما في القرآن.

لقد أخذوا من القرآن ما أخذوا من كنوز وجواهر ولآلىء وبقي القرآن بحراً زاخراً بالكنوزواللآلئ والجواهر ومهما اغترف العلماءُ اللاحقون من معين القرآن فانه يبقى غنيّاً غامراً وكما قال عنه الامام علي﴿عليه السلام﴾: «لا يشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبُه ولا يخلق على كثرة الرد»

كم ترك علماؤنا السابقون لنا من معاني ودلالات وميادين للقرآن رغم نفاسة وأصالة ما قدموا لنا وكم سنترك نحن للاجيال القادمة من هذه المعاني والدلالات وكم سيتركون هم لمن بعدهم منها؟!

ينطبق على كل العلماء في تعاملهم مع القرآن القول القائل: كم ترك الاول للآخر و(كم) هنا هي التكثيرية الخبرية وليست الاستفهامية .

و يمكن ان نستخلص أهم الدوافع التي أدت الى ظهور التفاسير المعاصرة تبعا للحاجات الآنيّة بما فيها التفسير الموضوعي باعتباره ايضاً من التفاسير المعاصرة وان كان له جذر تأريخي قديم.

و لنذكر نماذج من الحاجات الآنيّة الى التفاسير المعاصرة وأسبابها وهي:

اولاً: الطبيعة العامة لعصرنا هذا:

حيث يشهد تحكُّم الجاهلية في العالم وقيادتها البشرية وانتشار الكفر واستحواذ الأفكار والآراء الجاهلية ووصول هذه الافكار الى عقول ومجتمعات المسلمين وقيام الكفار بتصعيد الغزو الفكري ضد المسلمين خاصة مع تسهيل وصول وسائل الاعلام الى كل بيت عبر الفضائيات والانترنيت وغيرها فدعت هذه الحاجة المفكرين والعلماء الاسلاميين المعاصرين الى التوجه الى القرآن وتدبُّره لاستخراج حقائقه ودلالاته التي يتم

بها تنفيذ الافكار والمبادئ الغازية الجاهية ومواجهتها ووقاية المسلمين من شرورها.

وهذا حُسن إدراك من المفكرين المعاصرين لمهمة القرآن الكريم الجهادية في مواجهة الافكار الجائرة (الجاهية) المتمثلة في قوله تعالى (فلا تُطِع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً).

الفرقان ٢٥/آية ٥٢

ثانياً: الوضع العام المُحزن للمسلمين في هذا العصر:

حيث شهد العصر الحديث انحسار الاسلام عن واقع المسلمين اذ تمَّ القضاء على الخلافة الاسلامية وأُقصي الاسلام عن الحكم والتوجية والحياة اليومية في كل مرافقها الحيوية ونشأت مناهج الحياة في بلاد المسلمين على أُسس غير اسلامية واصبح الاسلام غريباً طريداً موحشاً بل ارهابياً في مؤسسات ومجتمعات المسلمين تحت سلطة من يدعي من المسلمين ظاهرا وأدوات عملاء واقعاً.

و قد دفعت هذه الظاهرة الدعاة العلماء الى العودة الى القرآن ودعوة المسلمين الىٰ الالتزام بهتطبيق توجيهاته ومبادئه فى حياتهم.

و لذا قاموا بدراسة موضوعات القرآن وتقديمها للمسلمين ليفهموها ويستوعبوها ثم ليتربوا عليها ويلتزموا بها.

التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٤٧

ثالثاً: مواكبة التطور العلمي في العصر الحاضر.

حيث شهد العصر الحديث توجه العلماء والباحثين الى مزيد من التخصص الدقيق والتعمق المنهجي العلمي وتجميع الجزئيات المتفرقة في أُطر عامة واحدة.

لم يعد المفكرون المعاصرون مهتمين بالتفاصيل الجزئيّة وتناول المسائل العلمية والموضوعات الفرعية بصورة فردية منعزلة عن مثيلاتها وانما صاروا مهتمين بالتصنيف الموضوعي الشامل للمسائل والقضايا.

لذلك اقبل المفكرون المسلمون علىٰ القرآن ونظروا فيه هذه النظرة التوحيدية

التجميعيّة لاحظوا مقاصده العامة واستخرجوا منه الموضوعات العامة وقدّموا الدراسات في شتى ميادين التفسير.

رابعاً: اصدار اعمال علميّة موضوعية عامّة تتعلق بالقرآن والفاظه وموضوعاته ساعدت هذه الدراسات المُعجميّة العلميّة الباحثين في القرآن .

و سهّلت عليهم استخراج الموضوعات القرآنية من السور والآيات وبعض هذه المعاجم العلميّة صدر عن مستشرقين غربيّين مثل كتاب (نجوم الفرقان في اطراف القرآن) للمستشرق الالماني (فلوجل) وكتاب (تفصيل موضوعات القرآن) للمستشرق الفرنسي (جول لابوم) وكتاب (المستدرك) على كتاب لابوم للمستشرق الفرنسي (ادوار مونتيه).

و بعض هذه المعاجم صدر عن باحثين مسلمين او مجامع عربية مثل كتاب (المعجم الادواتالضمائر والقرآن) للدكتور اسماعيل عمايره والدكتور مصطفى السيد وهو تكملة لمعجم عبد الباقي كتاب (معجم الفاظ القرآن الكريم) لمحمد عبد الباقي عضيمة. وكل هذه المعاجم سهّلت على الباحثين الوقوف على موضوعات القرآن ومعرفة الآيات القرآنية التي تتحدث عن الموضوع الواحد في اسرع وقت واستقصاء هذه الآيات .

و لذلك ساعدت هذه المعاجم على اصدار الدراسات الموضوعية القرآنية.

خامساً: التفات أقسام التفسير في الدراسات العليا في الجامعات العربية والاسلامية الى اهمية الدراسات التفسيرية المعاصرة لتلبي حاجات أساسية في حياة المسلمين لأهمية الدراسات الموضوعية القرآنية وتوجيه الاساتذة المشرفين على أطروحات طلابهم الى الكتابة بجدّية وبحزم في شتىٰ صنوف التفسير والبحث في الموضوعات القرآنية .

و ما يتعلق بها من علوم ـ سيّما علوم القرآن والذي أصبح بحراً زاخراً في تاريخنا المعاصر ـ وقد صدرت عن الباحثين في هذه الاقسام دراسات منّوعة في الرسائل الجامعيّة تتفاوت في قيمتها العلميّة لكنها بدايات جيّدة مشجعة.

المدخل الى التفسير الموضوعي ـ د. عبد الستار السعيد ص ٣٤-٣٩

من هنا انطلقت اهمية الحاجات الآنيّة الى معالجة الواقع ومشاكل الساعة من خلال كتابة التفاسير المعاصرة.

(التفسير الموضوعي)

تعريف التفسير الموضوعي:

حين نريد أن نلاحظ الدراسات التفسيرية منذ العصور الاسلامية الأولىٰ نجد بينها اختلافاً كثيراً في الانطباعات وتفاوتاً كبيراً في الموضوعات ذات العلاقة في البحوث القرآنية حيث نرىٰ بعض المفسرين يتجه الىٰ تأكيد الجوانب اللغوية واللفظية في النص القرآني وبعضهم الآخر يتجه الى تأكيد الجانب التشريعي والفقهي من القرآن وبعض آخر يتجه الى تأكيد الجانب العقيدي او الأخلاقي او العلمي التجريبي أو الجانب العرفاني منه وهكذا بالنسبة الى بقية الموضوعات القرآنية كالقصة وغيرها.

و بالرغم من هذا الاختلاف الكبير لانكاد نجد اختلافاً مهماً في منهج الدراسة والبحث ذلك أنهم اعتادوا أن ينهجوا في البحث طريقة تفسير الآيات القرآنية بحسب تسلسل عرضها في القرآن الكريم وتنتهي مهمة تفسيرها عند تحديد معنى الآية موضوع البحث مع ملاحظة بعض ظروف السياق أوبعض الآيات الأخرى المشتركة معها في نفس الموضوع ويمكن أن نسمي هذا المنهج بالتفسير التجزيئي او الترتيبي للقرآن الكريم.

نعم نلاحظ ان مجموعة من الآيات اهتم المفسرون بها بشكل خاص لوجود قاسم مشترك بينها كآيات الاحكام او القصص القرآني او الآيات الناسخة و المنسوخة او غيرها ولكن لم تدرس كموضوع مستقل بل باعتبار وجود الجامع والخصوصية المشتركة.

و في متأخر من تأريخ علم التفسير أخذت تنمو بوادر منهج جديد في التفسير او البحث القرآني تقوم على اساس محاولة استكشاف النظرية القرآنية في جميع المجالات: العقيدية والفكرية والثقافية والتشريعية والسلوكية من خلال عرضها في مواضعها المختلفه من القرآن الكريم.

فحين نُريد أن نعرف رأي القرآن الكريم في (الألوهية) يستعرض هذا المنهج الجديد الآيات التي تتحدث عن هذا الموضوع في مختلف المجالات وفي جميع المواضع القرآنية سواء في ذلك ما يتعلق بأصل وجود الاله او بصفاته وحدوده ومن خلال هذا

العرض العام والمقارنة بين الآيات وحدودها نستكشف النظرية القرآنية في (الاله)

و نظير هذا الموقف يتخذه في كل المفاهيم والنظريات او بعض الظواهر القرآنية فيبحث عن (الأسرة) أو (التقوى) أو (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) أو (المجتمع) أو (الجهاد) او (فواتح السور) أو (القصص القآني) أو (الانسان) أو غير ذلك من الموضوعات القرآنية.

وقد يقتصر البحث على مقطع قرآني واحد لان القرآن لم يعرض لموضوع البحث الاّ في هذا المقطع و مع ذلك نجد هذا الاختلاف بين المنهج الجديد والمنهج السابق في دراسة هذا المقطع الواحد حيث تكون مهمة المنهج الجديد استخلاص الفكرة والنظرية من خلال هذا المقطع دون المنهج السابق.

فالتفسير الموضوعي يقوم على اساس دراسة موضوعات معيّنة تعرض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة او في موضع واحد وذلك من أجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضوع المعيّن.

و من اجل ان يتضح المراد من التفسير الموضوعي نذكر ما شرحة آية اللّه السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قده)فقد ذكر ثلاثة معان للمصطلح الموضوعية

اولاً:(الموضوعية) في مقام (الذاتيّة) والتحيُّز)

والموضوعية بهذا المعنى عبارة عن الأمانة والاستقامة في البحث والتمسك بالاساليب العلمية المعتمدة علىٰ الحقائق الواقعية في نفس الامر والواقع دون أن يتأثر الباحث بأحاسيسه ومتبنياته الذاتية و لا أن يكون متحيزاً في الاحكام والنتائج التي التي توصل اليها و هذه الموضوعية امر صحيح و مفترض في كلا المنهجين (التجزيئي) و(الموضوعي) ولا أختصاص لاحدهما بها.

ثانياً: (الموضوعية) بمعنى أن يبدأ في البحث من (الموضوع) الذي هو (الواقع الخارجي). ويعود الى (القرآن الكريم) لمعرفة الموقف تجاه الموضوع الخارجي.

فيركز المفسر في منهج التفسير الموضوعي نظره على موضوع من موضوعات الحياة

العقائدية او الاجتماعية او الكونية ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الانساني حول ذلك الموضوع من مشاكل وما قدمه الفكر الانساني من حلول وما طرحه التطبيق التأريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ ثم يأخذ النص القرآني ويبدأ معه حواراً فالمفسَّر يسأل والقرآن يجيب و هو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح.

المدرسة القرآنية ـ الشهيد الصدر ص ١٩

و قد سمى الشهيد الصدر (قدس سره) هذا المنهج أيضاً بالمنهج (التوحيدي) باعتبار انه يوحّد بين (التجربة البشرية) و(القرآن الكريم) لابمعنى انه يحمل التجربة البشرية على القرآن... بل بمعنى انه يوحّد بينهما في سياق بحث واحد لكي يستخرج نتيجة هذا السياق... المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الاسلام تجاه هذه التجربة او المقولة الفكرية .

ثالثاً: وقد يراد من (الموضوعية) ما ينسب الى الموضوع حيث يختار المفسر موضوعاً معيّناً ثم يجمع الآيات التي تشترك في ذلك الموضوع فيفسرها ويحاول استخلاص النظرية قرآنية منها فيما يخص ذلك الموضوع. ويمكن من ان يسمى مثل هذا المنهج منهجاً توحيديّا ايضاً (باعتبار انه يوحّد بين هذه الآيات ضمن مركّب نظري واحد) **المصدر السابق ص ٢٨**

و لاشك ان المعنى الاول ليس موضوع البحث إذ لايختلف التفسير الموضوعي عن التفسير التجزيئي في ضرورة توفر هذا الوصف فيه ويبقى عندنا المعنى الثاني والثالث.

و قد خضع هذا المنهج في البحث لقانون التطور الذي يحدث عادة في مناهج البحث فمّر بمراحل متعددة حيث قام المنهج القديم للتفسير بدور الحضانه له ثم بلغ رشده وانفصل عنه فاذا بالموضوعات القرآنية المختلفة تتخذ صفة البحث المستقل عن (الهيكل العام للتفسير القديم).

حاجة العصر الى التفسير الموضوعي

لقد عرف الاسلام في أنظمته وتشريعاته طريقه الى المجتمع في بداية الامر من خلال

التطبيق ذلك لان الجانب الاجتماعي من الاسلام لم يطرحه الرسول الاعظم ﴿صلى الله عليه وآله﴾ كنظريات عامة و مبادئ دستورية عن المجتمع وعلاقاته المختلفة ثم جاء التشريع والتقنين بناء فوقياً لها ليشمل جميع مناحي الحياة وأنما طرحه الرسول الاعظم ﴿صلى الله عليه وآله﴾ في قضايا المجتمع التفصيلية.

ومن هنا لانجد البحث الموضوعي النظري يدخل في الشريعة الاسلامية الّا في العصور المتأخرة من تأريخ المسلمين لأن المجتمع الاسلامي كان يباشر التطبيق للقانون الاسلامي على اساس أنه تشريع واحكام من قبل الله سبحانه لابد من الالتزام بها ضمن نطاقها المعين وفي حدودها الخاصة. بلا حاجة الى معرفة النظرية التي يقوم عليها الحكم الشرعي وكيفية معالجتها لمشاكل الحياة الاجتماعية. ويكاد يختص هذا الامر بالشريعة فقط دون الجانب العقيدي للاسلام فانه كان و لايزال مجالاً للبحث النظري بسبب أنّ جانب التطبيق فيه هو فهم النظرية والايمان بها. وهذا ما فعله رسول اللّه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ فأنّه طرح في العقيدة النظرية الاسلامية بشكلها العام.

و حين انحسر الاسلام عن التطبيق في مجتمع المسلمين وواجه النظريات المذهبية المختلفة ظهرت الحاجة الملحّة الى البحث الموضوعي القرآني في مختلف المجالات لأن الاسلام أصبح بحاجة الى أن يعرضك(كنظرية) مذهبية جاء بها الرسول محمد ﴿صلى الله عليه وآله﴾ عن طريق الوحي وذلك من أجل مواجهة النظريات المذهبية الأخرى ومن أجل أن يتضح مدى صلاحيته لمعالجة مشاكل الحياة المعاصرة وصلته بتلك النظريات المذهبّية كما أن فهم الاسلام (كنظرية) عامة هو الذي ييسر لنا سبيل ان نتبناه نظاماً للحياة ندافع عنه ونكافح من اجل تطبيقه وصيانته.

فالحاجة الىٰ التفسير الموضوعي في هذا العصر تنبع ـ في الحقيقة ـ من الحاجة الىٰ عرض الاسلام ومفاهيم القرآن عرضاً نظرياً. يتكفل الأساس الذي تنبثق من جميع التفصيلات والتشريعات الأخرى حيث ممكن ان نستكشف النظريات العامة من خلال التشريع والقانون الاسلامي لوجود الارتباط الوثيق بين النظرية والتطبيق. اقتصادنا ـ الشهيد محمد باقر الصدرج ٢ ص١٦

علوم القرآن ـ الشهيد محمد باقر الحكيم ص ٣٤٣-٣٤٨

نفحات القرآن وانماط التفسير

يقسّم لنا كتاب نفحات القرآن انماط التفسير الى خمسة اقسام هي

١ ـ تفسير مفردات القرآن: انه يبحث عن مفردات القرآن كل على حدة وبالتسلسل على نحو الف باء على هيئة مُعجم ومن أبرز نماذج ذلك كتاب (مفردات الراغب) و(وجوه القرآن) و(تفسير غريب القرآن) للطريحي وأخيراً كتاب (التحقيق في كلمات القرآن الكريم) و (نثر طوبى او دائرة معارف القرآن الكريم)

٢ ـ التفسير الترتيبي: فحينما يجري الحديث عن تفسير القرآن الكريم تنشد الانظار نحو التفسير المتعارف بـ(التفسير الترتيبي) حيث يجري بحث القرآن الكريم بالترتيب ويتم توضيح مضمونها وماهيتهاهو الاسلوب المتبع قديماً وحديثاً في تفسير القرآن منذ الصدر الاول والى يومنا هذا وقد قام علماء الاسلام بتأليف مئآت او الآف الكتب تحت عنوان (تفسير القرآن الكريم) في هذا المجال.

٣ ـ التفسير الموضوعي: وهو الذي يحقق ويبحث آيات القرآن الكريم على اساس مختلف المواضيع المتعلقة باصول الاسلام وفروعه والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والاخلاقية .

٤ ـ التفسير الارتباطي أو التفسير التسلسلي: حيث يحاول فيه تناول مواضيع القرآن المختلفة من حيث ارتباطها ببعضها فعلى سبيل المثال يعد بحث موضوع (الايمان) و(التقوى) و(العمل الصالح) كل على حدة في التفسير الموضوعي يتطرق الى تفسير هذه المواضيع الثلاث من حيث ارتباطها ببعضها من خلال الاعتماد على الآيات والملاحظات الواردة في ذلك ويوضح علاقتها ببعضها ومن المسلَّم به أن حقائق جديدة سوف تنكشف لنا عن كيفية ارتباط هذه المواضع ببعضها تكون بالغة القيمة والفائدة.

نحن نعلم ان الاسلوب الصحيح في دراسة كتاب (التكوين) اي عالم الخلق وكائنات عالم الوجود هو في مطالعتها من حيث ارتباطها مع بعضها ففي الحقيقة انَّ الشمس والقمر والأرض والانسان والمجتمعات البشرية هي مواضيع لاتنفصل عن بعض وهي تشكّل في مجموعها كياناً واحدًا متلازماً والاسلوب الصائب في دراستها هو ان نبحثها من حيث

ارتباطها مع بعضها وهكذا الامر في كتاب (التدوين) اي القرآن الكريم فهناك علاقات دقيقة ولطيفة فيما بين مواضيع القرآن الكريم ولابد من تفسيرها من حيث ارتباطها مع بعضها.

٥ ـ التفسير العام او الرؤية الكونية للقرآن :و هنا يتناول المفسر جميع مضمون القرآن فيما يتعلق بعالم الوجود وبتعبير اكثر وضوحاً :يربط كتاب (التكوين) مع كتاب (التدوين) وينظر اليهما معاً ويفسرهما من حيث ارتباطهما ببعضها.

نفحات القرآن ـ العلامة ناصر مكارم الشيرازي ج ١ ص ٥-٧

«مقارنة بين التفسير الموضوعي والتفسير العصري»

نحن نعلم ان منهجية التفسير تختلف تبعاً الىٰ طرق المفسرين وهي تنقسم الى عدة اقسام وهي:

١ ـ التفسير التحليلي

٢ ـ التفسير الأجمالي

٣ ـ التفسير المقارن

٤ ـ التفسير الترتيبي او التجزيئي.

٥ ـ التفسير الموضوعي

ويمكن ان تصنيف هذه الأقسام تصنيفاً آخراً أكثر شمولاً فنجعل الأربعة الاولى تحت عنوان جامع و هو التفسير الموضعي.

فالصنف الاول وهو (التحليلي ـ الاجمالي ـ المقارن ـ الترتيبي ـ التجزيئيي) في التفسير المعاصر: المفسِّر فيه يبقىٰ في موضع واحد لايتعدّاه الىٰ موضع آخر الأبْعَدَ ان يكلمه فهو يبقى مع سورة البقرة مثلاً من ـ الم ـ يستمر معها حتى نهايتها فهو عندما يفسر آية منها يتجاوزها الى الآية الثانية الاّ بعد الانتهاء من تفسيرها.

و لهذا صح اطلاق اسم (التفسير الموضعي) علىٰ هذا النوع من التفسير قديماً وحديثاً.

التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ـ الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي ص ٤٠

اما التفسير الموضوعى فهو المقابل للتفسير الموضعي فانه لايبقىٰ في موضع واحد من القرآن. فهو قضيّة أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة او السلوك الاجتماعي او مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم.

وقد تعددت تعاريف الباحثين المعاصرين للتفسير الموضوعي منها:

١ ـ هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية اوالاجتماعية او الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

٢ ـ هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً او حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

٣ ـ هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة او في سور متعددة.

٤ ـ و علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقه والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع .

دراسات في التفسير الموضوعي زاهر عواض الالمعي ـ مطابع الفرزدق ص ٧

٥ ـ دراسة موضوعات معيّنة تعرّض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة أو في موضع واحد ذلك من أجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضوع المعين.

علوم القرآن ـ محمد باقر الحكيم ص ٣٤٤

٦ ـ القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية او الاجتماعية او الكونية.

المدرسة القرآنية ـ محمد باقر الصدر ص ١٢

٧ ـ هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة او اكثر.

اذن نخلص بنتيجة أنه ليس هناك بوناً شاسعاً بين التفسير المعاصر بأهدافه و نتائجه

وأساليب الدفاع والفهم عن التفسير الموضوعي بل عَدَّ البعضُ التفسير الموضوعي هو أحد انواع التفاسير المعاصرة بل أهمها في وقتنا هذا.

و لكن يختلف التفسير المعاصر عن التفسير الموضعي بما يلي:

اولاً: في المنهجية كما تقدم ذكره حيث ينظر المفسر المعاصر في القرآن وسوره وآياته يبدأ منه ويبقى معه بعكس الموضوعي

حيث يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية ويقوم بدراستها القرآنية لموضوع من الموضوعات العقائدية او الاجتماعية او الكونية او الحياتية.

ثانياً: ان المفسر المعصر يكتفي بتحليل الآيات وجملها وتراكيبها واستخراج دلالاتها التفصيلية والجزئية اما المفسر الموضوعي فأنه على العكس لايكتفي بتحليل الآيات وجملها وتراكيبها بل يربط بينها بمحور موضوعي واحد ويعالج مسألة مترابطة.

ثالثاً: المفسر المعاصر يُقدِّم للمسلمين تفسيراً نظرياً ومعلومات ثقافية ومجالات علميه متنوعة في العقيدة والحديث واللغة والبلاغة والنحو والفقه اما التفسير الموضوعي فهو يحوّل الجانب التفسيري النظري الى واقعي وعملي يأخذ مناحي الحياة وجوانبها التطبيقية.

رابعاً: التفسير المعاصر يخدم الآية والسورة والجملة والمفردة القرآنيّة اما التفسير الموضوعي فأنه يخدم مهمة القرآن ورسالته ووظيفته في حياة المسلمين ويزيد تفاعل المسلمين مع القرآن وقناعتهم بحقائقه ودعوتهم اليه.

خامساً: ان التفسير الموضوعي هو الذي يتناسب مع مقاصد القرآن وأوَّلياته ومنطلقاته الأساسية و يخدمها ويُحسن عرضها والدعوة اليها. وان التفسير العام هو الممهد واللبنات الأولى المتفرقة للتفسير الموضوعي المتكامل.

مدى أهمية التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي هو تفسير هذا العصر وهو تفسير المستقبل ايضاً وله أهمية كبرى عند المسلمين وحاجتهم اليه ماسة على الرغم من ان هذا لايعني ان التفسير المغاير (المعاصر) ليس ذات اهمية بل العكس يكمل بعضه بعضاً. وهذا التفسير يحقق للمسلمين فوائد عديدة من حيث صلتهم بالقرآن الكريم وتعرفهم علىٰ مبادئه وحقائقه ومن حيث تشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافاتهم ومن حيث عملهم على اصلاح أخطائهم وتكوين مجتمعاتهم ومن حيث حسن عرض القرآن والاسلام على الآخرين. والوقوف أمام الاعداء والخالفين وفيما يلي مدىٰ اهمية التفسير الموضوعي:

١ ـ التفسير الموضوعي من العوامل الأساسية في حل مشكلات المسلمين المعاصرة وتقديم الحلول لها علىٰ أساس القرآن فمن المتفق عليه أن مسلمي هذا العصر يعانون من مشكلات خطيرة و عديدة ومن المتفق عليه أيضاً ان حل هذه المشكلات اساساً في القرآن. وعندما يبحث الباحثون في التفسير الموضوعي فانهم يقدمّون للمسلمين الحلول القرآنية لمشكلاتهم العديدة.

٢ ـ التفسير الموضوعي وسيلة ضرورية منهجيّة لتقديم القرآن تقديماً علمياً منهجّياً لانسان هذا العصر وابراز عظمة هذا القرآن وحسن عرض مبادئه وموضعاته واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة وسيلة واداة لهذا العرض.

٣ ـ التفسير الموضوعي كفيل ببيان مدى حاجة الانسان المعاصر الى الدين عموماً والىٰ الاسلام والقرآن خصوصاً وإقناعهِ بأنَّ القرآن هو الذي يحقق له حاجاته ومتطلباته.

٤ ـ يقوم العلماء والباحثون بالوقوف امام الاعداء وتفنيد افكارهم الجاهلية وذلك عن طريق التفسير الموضوعي.

٥ ـ يتم عرض أبعاد ومجالات وآفاق جديدة لموضوعات القرآن عن طريق التفسير الموضوعي وهذه الابعاد الجديدة لموضوعات القرآن تزيد اقبال المسلمين على القرآن وتوثّق صلتهم به.

٦ ـ بالتفسير الموضوعي تظهر الحيويّة الواقعّية للقرآن وتحقق المهمة العلمية الحركية

للقرآن فلا ينطُر الباحثون الى موضوعات القرآن على أنها موضوعات قديمة نزلت قبل خمسة عشرَ قرناً وانما يعرضونه في صورة علمية واقعية تناقش قضايا ومشكلات حيّة وتهتم بمسلمين أحياء متحركين وهذا هو البعدُ الحّي للقرآن الكريم.

٧ ـ التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الاساسيّة للقرآن ويحقق هذه المقاصد والاوليات القرآنيّة في حياة المسلمين.

٨ ـ التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها أمام الباحثين عرضاً قرآنياً منهجياً وتصويب هذه الدراسات وحسن تخلصيها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية.

٩ ـ التفسير الوضوعي يعيد توثيق الصلة القرآنيّة لمختلف العلوم الشرعية الاسلاميّة ويعرض هذه العلوم الشرعية على أساس توجيهات وحقائق القرآن وبه يتمُّ الغاء كل ما لايتفق مع القرآن من هذه العلوم.

و من هذه العلوم: العقيدة والبلاغة والنحو والتأريخ والقصص والاحكام الشرعيّة والاحوال الشخصيّة.

و منها ايضاً: علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة والحضارة.

١٠ ـ بالتفسير الموضوعي يتم تقديم مناهج الدعوة والحركة والاصلاح ويتعرف الدعاة والعاملون للاسلام على حقائق القرآن في فقه الدعوة والجهاد والغيير.

١١ ـ التفسير الموضوعي اساس التأصيل القرآني للعلوم والموضوعات والمعارف الانسانية والحضاريةِ المختلفة التي يُقبلُ عليها المثقفون في هذا العصر كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية والثقافة والحضارة والانسانية والتقدم.

و يُقدّمُ الباحثون للمثقفين المعاصرين رؤيةً قرآنيةً موضوعيةً واضحةً لهذه العلوم المعاصرة يكون هذا من أهمّ الوسائل الموضوعّية العلميّة في الدعوة الى الاسلام والقرآن.

١٢ ـ بالتفسيرالموضوعي يتمُّ توسيع دلالات ومضامين الآيات القرآنية واضافة الأبعاد والمعاني الجديدة اليها التي قد لايلتفت لها السابقون من المفسرين ولايجدها القارئ في

كتب التفسير الموضعي او المعاصر.

١٣ ـ بالتفسير والموضوعي ينفّذ الباحثون امر الله لهم بتدبر القرآن. وامعان النظر فيه واحسان فقه وفهم نصوصه وتأويلها.

١٤ ـ بالتفسير الموضوعى يصل الباحثون الى الغاية من الآيات والموضوعات القرآنية والتفاسير السابقه الموضعيه التحليلية هي وسيلة الى هذه الغاية وتمهيد لهذه النتيجة.

١٥ ـ التفسير الموضوعي هو الوسيلة المنهجية العلمية للارتفاع بمستوى التفكير العلمي الموضوعي عند الباحثين فمن خلال البحث في موضوعات القرآن يقوم الباحث في موضوعات القرآن يقوم الباحث برياضة عقلية عملية يشحذ بها ذهنه ويمرّن بها عقله ويدرّب بها نظراته وبذلك يرتقي في عالم التفكير الموضوعي فيكون مفكراً قرآنياً وباحثاً موضوعيّاً.

١٦ ـ الدراسات والمؤلفات في التفسير الموضوعي محدودة وحجمها صغير عندما تقاس بالمجلدات في التفسير التحليلي فيمكن اصدار كل موضوع قرآني في كتاب وهذا أدْعى الى الاقبال عليه وقراءته بيسر واستيعاب أفكاره. كذلك يسهل الأمر في التفسير الموضوعي على المؤلف نفسه فيمكنه خلال فترة زمنيّة محددة إعداد دراسة متكاملة حول موضوع قرآني معين واذا اتمه انتقل الى موضوع آخر جديد بينما لايتحقق هذا له اذا اراد تفسير القرآن كله تفسيراً تحليلياً موضعياً قد يموت هذا العالم قبل الانتهاء من تفسيره التحليلي.

التفسير الموضوعي ـ د. صلاح عبد التفاح الخالدي ص ٤٨-٥١

المدخل الى التفسير الموضوعي ـ د. عبد الستار السعيد ص ٤٠-٥٥

مباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى مسلم ص ٣٠- ٣٣.

ما هي المشكلات التي يمكن حلُّها بالتفسير الموضوعي

ان الأجابة على هذا السؤال واضحة للغاية من خلال ملاحظة ما مَرَّ ذكره ولكن للمزيد من التوضيح ينبغي الالتفات الى هذا الامر وهو: إن الكثير من آيات القرآن الكريم يأخذ

بعُداً واحداً من أبعاد موضوع ما فمثلاً فيما يخص مسألة (الشفاعة) فقد ورد في بعض الآيات اصل امكان الشفاعة.

و في البعض الآخر (شروط الشفاعة) قال تعالى(ولا تنفع الشفاعة عنده الّا لمن أذن له...) سبأ٢٣/٣٤ وقال تعالى (اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) مريم ٧٨/١٩.

و في البعض شروط (المشفَّع لهم) قال تعالى (ولا يشفعون الّا لمن ارتضى...) الانبياء ٢٨/٢١ وقال تعالىٰ (... ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع) غافر١٨/٤٠.

و في بعض تُنفى الشفاعة عن الجميع ما عدا الله تعالى قال تعالى: (قل للّه الشفاعة جميعاً...) الزمر٤٤/٣٩.

و في بعض آخر ثبتت الشفاعة لغير الله قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) المدثر ٤٨/٧٤

نجد ان حالة من الغموض تحيط بأمور الشفاعة بدءً من حقيقة الشفاعة وحتىٰ سائر الشروط والخصائص ولكن عندما نأخذ آيات الشفاعة من القرآن ونضعها الىٰ جانب بعضها ونفسّرها في ظلّ بعضها البعض يرتفع هذا الغموض وتُحلَّ المشاكل علىٰ أحسن وجه. وكذلك الآيات المتعلّقة بأبعاد الجهاد. او الغرض من احكام الاسلام او الآيات المتعلّقة بالبرزخ او مسألة علم الله وكذلك موضوع علم الغيب وهل ان العلم بالغيب ممكن لما سوىٰ اللّه ام لا؟

فلو وضعت آيات كل موضوع في جانب فمن الممكن اداء حق الموضوع وتُحلُّ الاشكالات الموجودة عن طريق التفسير الموضوعي.

و اساساً فان الآيات المتعلقة بـ (المحكم) و(المتشابه) التي توعز بتفسير الآيات (المتشابهات) على ضوء (المحكمات) هي في حد ذاتها نمط من التفسير الموضوعي.

على اي حال فمن خلال تفسير الآيات المتعلقة بموضوع ما على اضواء بعضها البعض تنبثق عنها ومضات جديدة الومضات التي تكمن فيها معارف القرآن والحلول الكثير من المعضلات العقائدية واحكام الاسلام.

من هذا الباب يمكن تشبيه آيات القرآن بالكلمات المتفرقة حيث أنَّ لكلٍّ منها مفهوماً

ذاتياً ولكن حينما تُرتّب سويّة فهي تعطي مفاهيم جديدة.

او تشبيهها بالعناصر الحياتية مثل (الاوكسجين) و(الهيدروجين) التي حينما تُركّبُ مع بعضها ينتج عنها الماء الذي هو عنصر حياتي آخر.

خلاصة القول: لايمكن حل الكثير من اسرار القرآن عن هذا الطريق ولايمكن النفوذ الى عمقها الّا من خلال الكثير من اسرار القرآن الّاعن هذا الطريق.

و لايمكن النفوذ الى عمقها الّا من خلال هذا السبيل ونعتقد بأن هذا القدر كافٍ لتوضيح أهمية التفسير الموضوعي.

و بأختصار يمكن تلخيص فائدة التفسير الموضوعي في النقاط التالية

١ ـ ازالة الاشكالات التي تبرز في بعض الآيات للوهلة الاولى وحلّ المتشابه في القران.

٢ ـ الاطلاع على ظروف ومزايا واسباب ونتائج المواضيع والامور المختلفة المطروحة في القرآن الكريم .

٣ ـ الحصول على تفسير جامع بشأن مواضيع مثل (التوحيد) و (معرفة الله) و(المعاد) (العبادات) و (الجهاد) و (الحكومة الاسلامية) ومواضيع مهمّة اخرى.

٤ ـ الحصول على اسرار وايحاءات جديدة من القرآن من خلال الآيات ببعضها.

نفحات القرآن ـ ناصر مكارم الشيرازي ج ١ ص ١٠-١١

تأريخ التفسير الموضوعي

ان بوادر التفسير الموضوعي موجودة في نفس القرآن وكما قلنا فان امر القرآن بتفسير الآيات المتشابهة بواسطة الآيات المحكمة هو نوع من التفسير الموضوعي.

و في كلام أئمة الهدى عليهم السلام امثلة كثيرة تعلّمنا اسلوب جمع الآيات المرتبطة بموضوع معيّن وترتيبها ثم الاستفادة منها ولاجل اثبات هذا الامر نكتفي بذكر مثال على ذلك: في الرواية المعروفة بعنوان وصيّة النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ موعظته لعبدالله بن مسعود المذكورة في بحارالانوار ـ وهي رواية طويلة وكثيرة المضامين وفيها أمثلة كثيرة بنحو يمكن

القول ان الرواية تدور حول التفسير الموضوعي عندما يتكلم النبي ﷺ عن ذم الدنيا يقول: يا ابن مسعود ان الاحمق من طلب دنيا زائلة، ثم يستدل على هو ان الدنيا وزخارف هذا العالم بالآيات التالية .

(إنما الحياة الدينا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد...)

الحديد ٥٧ /٢٠

(و لولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة معارج عليها يظهرون ولبُيُوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون) **الزخرف ٤٣/٣٣-٣٤**

(من كان يريدُ العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم عجلناله فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا) **الاسراء ١٧/١٨**

بحار الانوار ـ العلامة المجلسي المجلد ٧٤ ص ٩٤

«بيان آية البيان»

قال تعالى (هذا بيان للناس وهدىً وموعظةٌ للمتقين) **آل عمران ٣/١٣٨**

هل ان هذه الاية المباركة عامة وشاملة لكل القرآن، لكل آيات القرآن ام انها اشارة الى مجموعة خاصة من الآيات ؟

و قبل الجواب على هذا السؤال لابد لنا ان نقوم بجولة سريعة في بعض التفاسير القديمة منها والمعاصرة لنرى بماذا يجيب المفسرون على هذا السؤال؟

١ ـ **فالسيد الطباطبائي في ميزانه يقول:** (و هذا البيان كما ترىٰ احسن طريق به الانسان الى تكميل نفسه بعد ظهور النقص وأجود سبيل في علاج الرذائل النفسانية التي ربما دبت في النفوس المحلاة بالفضائل فاورثت السفال والسقوط وهددت بالهلكة والردىٰ / الآية تؤدي الىٰ التقسيم باعتبار التأثير فهو بلاغ وأبانة لبعض وهدىٰ وموعظة لآخرين) **الميزان ج ٤ ص ١٨-٢٢**

٢ ـ **والطبرسي في مجمعه يقول:**

«هذا» اشارة الى ا لقرآن (بيان للناس) اي دلالة وحجة لهم كافة عن الحسن وقتادة

وقيل اشارة الى ماتقدم من قوله (قد خلت من قبلكم سنن) اي هذا الذي عرفتكم بيان للناس عن ابن ابي اسحاق واختاره البلخي والطبري (وهدى) قال علي بن عيسى الفرق بين البيان والهدى ان البيان آظهار المعنىٰ للغير كائناً ما كان والهدى بيان لطريق الرشد ليس لك دون طريق الغي (و موعظة للمتقين) وانما خصّ المتقين به مع كونه بياناً وهدى وموعظة للناس كافة لأن المتقين هم المنتفعون به والمهتدون بهداه والمتعظون بمواعظه.

مجمع البيان ـ الطبرسي ـ ج ٢ ص ٨٤٢

٣ ـ وتفسير جوامع الجامع يقول:

(هذا بيان للناس آي ايضاح لسوء عاقبة من كذب وحثّ على النظر في آثار هلاكهم وهدى زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين)

تفسير جوامع الجامع ـ الطبرسي ص ٦٩

٤ ـ وتفسير روان جاويد يقول:

(قرآن بيان وواضح كنندهٔ تمام حقائق براى مردم است وهر كس به قدر فهم واستعداد خود از اين خِرمن خوسهاى واز اين خوان توشهاى برمي دارد مخصوصاً هدايت وموعظة وپند براى پرهيز كاران است زيرا كه غير آنها قابليت استضائهٔ از نور قرآن را ندارد اگر بخواهند در قرآن هم تدبّر وتفكّر كنند به جهات ديگر مى‌پردازند نه غرضى كه قرآن براى آن نازل شده كه هدايت ووعظ است آنها منفع نشوند مستغرق در مادّه وطبيقت گردند.)

روان جاويد در تفسير قرآن مجيد ـ محمد ثقفي تهراني ج ١ ص ٦٣٨ ـ ٦٣٩

٥ ـ وتفسير في ظلال القرآن يقول:

(هذا بيان للناس كافة. فهو نقله بشرية بعيدة فهو نقله بشرية بعيدة ما كان الناس ببالغيها لولا هذا البيان الهادي. ولكن طائفة خاصة هي التي تجد فيه الهدى وتجد فيه الموعظة وتنتفع به وتصل على هداه... طائفة (المتقين)

في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ج ١ ص ٤٧٩-٤٨٠

٦ ـ **والتفسير الكبير** يقول: (قوله تعالى (هذا بيان للناس.... لابد من الفرق بين البيان والهدى وبين الموعظة لان العطف يقتضي المغايرة فنقول فيه و جهان: الاول: ان البيان هو الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد ان كانت الشبهة حاصلة فالفرق أن البيان عام في أي معنى كان واما الهدىٰ فهو بيان لطريق الرشد ليس لك دون طريق الغي واما الموعظة فهي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين .

فالحاصل ان البيان جنس تحته نوعان: احدهما: الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى.

الثاني: الكلام عما لاينبغي في الدين وهو الموعظة.

الوجه الثاني: أن البين هو الدلالة واما الهدى فهو الدلالة بشرط. كونها مفضية الى الاهتداء وقد تقدم البحث في تفسير قوله (هدى للمتقين) سورة **البقرة ٢/آية رقم ٢**

(هذا بيان للناس) كلام عام ثم قوله (وهدى وموعظة للمتقين) مخصوص الا في حق المتقين.

التفسير الكبير ـ الرازي م ٥ ج ٩ ص ١١-١٢

اذن ما وجه الحاجة الى تفسير القرآن وقد انزله الله نوراً وهدىً وبصائر للناس وتبياناً لكل شئ قال تعالى(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً) **النساء ٤/ ١٧٤**

و قال تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) **آل عمرآن ٣/ ١٣٨**

و قال تعالى (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) **الجاثية ٢٠/٤٥**

و قال تعالى(ونزلنا اليك الكتاب بياناً لكل شئ) **النحل١٦/٨٩**

كما انه جاء ليكون بنفسه أحسن تفسيرا قال تعالى (ولايأتونك بمثل الّا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) **الفرقان ٣٣/٢٥** اي احسن بياناً وتوضيحا فهل هناك حاجة الى التفسير؟

نعم انزل الله الكتاب ليكون بذاته بياناً للناس عامة وتفصيلاً لكل شئ قال تعالى(وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصّلاً)

الانعام ٦/١١٤

وقال تعالىٰ (وتفصيل الكتاب لاريب فيه)

يونس ١٠/ ٣٧

غير أن بواعث الابهام أمر عارض ولعله كان من طبيعة البيان القرآني جاء تشريعاً للأصول المباني. وأجمل في البيان أيكالاً وأيضاً فأن في القرآن الماعات الىٰ حوادث غابرة وأمم خالية جاء ذكرها لاجل العظة والاعتبار الى جنب عادات جاهلية كانت معاصرة عارضها وشدّد النكير عليها في مثل مسألة النسيئ وأنها زيادة في الكفر قال تعالىٰ (إنما النسيئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرمونه عاماً لياطئوا عِدّة ما حرَّم الله فيحلّوا ماحرّم الله

زُين لهم سوء اعمالهم والله لايهدي القوم الكافرين)

التوبة ٩/ آية ٣٧

و نَهيه عن دخول البيوت من ظهورها قال تعالى (... وليس البّرُ بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها و لكن البّرَ من أتقىٰ وأتوا البيوت من أبوابها وأتقوا الله لعلكم تفلحون)

البقرة ٢/ آية ١٨٩

ونحو ذلك فاستنكرها عليهم وعنّفهم عليها حتى أبادها وقطعها من جذورها. فلم يبق منها سوى أشارات عابرة لولا الوقوف عليها لما امكن فهم معاني تلكم الآيات.

كما تعّرض لأمور أتى عليها من وجه كّليّها وأهمل جانب تعيينها فجاءت مجملة هي بحاجة الى شرح و بيان في مثل الدابّة التي تخرج من الارض فتكلمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لايوقنون) .

النمل /٢٧ آية رقم ٨٢

و البرهان الذي عصم يوسف من ارتكاب الأثم قال تعالىٰ:

(ولقد همّت به وهَمَّ بها لولا أن رأى بُرهان ربّه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)

يوسف ١٢/ آية رقم ٢٤

هذا مضافاً الى غرائب اللغة التي جاءت في القرآن على أفصحها وأبلغها وإن كان صعباً

فهمُها على عامة الناس لولا الشرح والبيان. وقال الراغب في التفسير إما أن يستعمل في غريب الالفاظ نحو.

(البحيرة): وهي الناقة إذا ولدت عشرة أبطن. شقوا أُذنها وتركوها فلا تركب ولايحمل عليها.

و (السائبة): اذا ولدت خمسة أبطن تسيّبت في المرعىٰ فلا تردّ عن حوض ولاكلاء.

و(الوصيلة): اذا ولدت الشاة توأمين ذكراً وأُنثى فلا يُذبح الذكر ويقال: وصلت أخاها فيتركونه لاجلها.

و(الحام): الفحل اذا ضرب عشرة أبطن كان يقال: حمي ظهره فلا يركب قال تعالىٰ: (ما جعل اله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين يفترون على الله الكذب أكثرهم يعقلون) **المائدة ٥ /١٠٣**

التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ـ محمد هادي معرفة ج ١ ص ١٤-١٧

و قال الامام بدر الدين الزركشي: التفسير علم يعُرف به فهم كتاب الله وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه وان الله انما خاطب خلقه بما يفهمونه ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه انزل كتابه على لغتهم....

والقرآن إنما أُنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره واحكامه وانما احتيج الىٰ التفسير لما فيه من دقائق باطنه لاتظهر الّا بعد البحث والنظر مع سؤال النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ عنها في الاكثر كسؤالهم لما نزل (ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) **الانعام ٨٢/٦**

فقالوا أيّنا لم يظلم نفسه! ففسره النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بالشرك واستدل بقوله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم).

لقمان ١٣/٣١

و كسؤال عائشة عن الحساب اليسير في قوله تعالى (فأما من أُتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا) **الأنشقاق ٨٤/٧-٨**

فقال (ذلك العرض ومن نوقش الحساب عُذِّب) تفسير الطبري ج ٣٠ ص ٧٤

(وكقصّة عدي بن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت رأسه) تـفسير الطـبري ج٢ ص ١٠٠

و غير ذلك مما سألوه عن آحاد منه قال: ولم ينقل الينا عنهم تفسير القـرآن وتأويـله بجملته فنحن نحتاج الى ماكان يحتاجون اليه وزيادة لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلّم فنحن أشد الناس احتياجاً الى التفسير.

قال: و معلوم ان تفسير القرآن يكون بعضه من قبيل بسط الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها بعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ولهذا لايسغني عن قانون يُقول في تفسيره عليه ويرجع في تـفسيره اليـه مـن مـصرفة مـفردات الفـاظه ومركّباتها سياقه وظاهره وباطنه وغير ذلك مما لايدخل تحت الوهم ويدقّ عنه الفهم .

بين اقداحهم حديث قصير هو سحر وما سواه كلام

وفي هذا تتفاوت الاذهان وتتسابق في النظر اليه مسابقة الرّهان. فـمن سـابق بـفهمه وراشق كبد الرميه بسهمه وآخر رمىٰ فأشوى (اصبه ولم يصب مقتله) وخبط فـي النـظر خبط عشواء

كما قيل: وأين الرقيق من الركيك واين الزلال من الزعاق. والزعـاق:(وهـو المـاء المـر لايطاق شربه).

البرهان في علوم القرآن ـ الزركشي ج ١ ص ١٣-١٥

الخلاصة:

مما تقدم: نصل الى ان القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ونور وهدى وبصائر للناس وتبياناً لكل شيء كما انه جاء بنفسه ليكون بذاته وبنفسه أحسن تفسيرا كل هذا وذاك صحيح ولكن بواعث الابهام امر عارض ولعله كان من طبيعة البيان القرآني فانه جاء تشريعاً للاصول والمباني فيحتاج الى تفسير وبيان وتوضيح.

كما لايفوتنا ان البعد الزمني بيننا وبين عصر النص يحتاج الى ايضاح واتساع نطاق الفتوحات الاسلاميّة وبروز مسائل علمية جديدة ويحتاج الوحي الى اظهار وتبيان

اذن لدينا مدرستان المدرسة الاولى تقول ان القرآن بلسان عربي ونور وهدى وبصائر فما بال النور يستضيء بنور غيره وما بال البيان يستبين ببيان غيره وهذا صحيح.

والمدرسة الثانية تقول ان القرآن يحتاج الى تفسير وايضاح ما هو غامض وذلك لعدة اسباب و منها سبب البُعد عن زمن نزول الوحي وبروز مسائل علمية حديثة وهذا صحيح ايضا فكيف يتم الانسجام بينهما؟

وانا أقول لاتعارض بينهما بل كلاهما يحتاج الى الأخر وكلاهما يكمل الآخر وكلاهما صحيح وكلاهما منسجم تماماً ففي الوقت الذي يكون بيّن وواضح يكون من مفردات المدرسة الاولى وفي الوقت الذي يكون فيه شيء من الغموض والابهام فهو يكون من مفردات المدرسة الثانية.

«الخاتمة»

ان التفسير المعاصر يُعدُّ تفسير الحاضر والمستقبل والبحث فيه لازال الشغل الشاغل لذوي الاختصاص.

كما ان التفسير الموضوعي هو ايضًا يُعَدُّ تفسيراً عصرياً وان كان ذا جذور تأريخية وانَّ بوادره موجودة في نفس القرآن وفي كلام أئمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾

وهكذا كانت محاولة متواضعة للمقارنة بينهما بل تُعَدُّ في نفس الوقت قُرباً فكرياً على الرغم من وجود نقاط افتراق.

حيث تجدهما دراسات قرآنية معاصرة وارتباط تأريخي متجذّر من منبع واحد لمشرع واحد ورسول واحد ولسان واحد، لعلاج المشاكل الآنيّة العصريّة، ولكشف نفحات القرآن ومدى اهميّة ذلك علىٰ مستوىٰ الفرد والاسرة والمجتمع وعلى كل الصُعُد الفكرية والعقائدية والثقافية و السياسية وحتى الاقتصادية والاجتماعية والتأريخية.

و لابد ان يكون تأصيل للبحث والانطلاق في ذلك من منهجيّة علمية موضوعّية لها قواعدضوابط وأُسس يلتزم بها الباحثون في موضوعات القرآن ولابُدَّ ان يكونوا حريصين على حسن القول والتعبير والتدبُّر والتفكير وحذرين من الوقوع في الاخطاء لان ذلك يعود بالاذى والانجراف دون دقة.

و ختاماً إنّها محاولة للكشف عن التفسير المعاصر والحاجات الآنية الحديثة والتفسير الموضوعي تعريفه وأقسامه وانماط التفسير والمنهجية المتبعة ووجهات النظر ثم بيان آية البيان ورأي المفسرين فيها سائلاً المولىٰ جل شأنه ان يكون هذا البحث نافعاً وصالحاً ومقبولاً وجهداً مخلصاً ينال استحسان مطلعية والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله على سيدنا محمد وعلى آله الهداة القادة الميامين الطيبين الطاهرين.

«مصادر البحث»

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ـ د. صلاح عبد الفتاح الخالدي .

٣ ـ التفسير والمفسرون ـ د. محمد حسين الذهبي ـ ج ٢.

٤ ـ المدخل الى التفسير الموضوعي ـ د. عبدالستار السعيد ـ دار الطباعة ـ القاهرة.

٥ ـ المدرسة القرآنية ـ الشهيد الصدر ـ دار التعارف بيروت .

٦ ـ اقتصادنا ـ الشهيد الصدر ـ دار التعارف ـ بيروت .

٧ ـ علوم القرآن ـ الشهيد محمد باقر الحكيم مجمع الفكر الاسلامي .

٨ ـ نفحات القرآن ـ العلامة ناصر مكارم الشيرازي ج ١ مطبعة الحيدري مؤسسة ابي صالح للنشر والثقافة .

٩ ـ دراسات في التفسير الموضوعي ـ زاهر عواض الالمعي ـ مطابع الفرزدق .

١٠ ـ مباحث في التفسير الموضوعي ـ د. مصطفى مسلم ـ دار القلم ـ دمشق .

١١ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ الطباطبائي محمد حسين ج ٤ ـ مؤسسة اسماعيليان .

١٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسى ـ ج ٢ ـ دارالمعرفة.

١٣ ـ جوامع الجامع ـ الطبرسي ـ طبعة بهرام .

١٤ ـ روان جاويد در تفسير قرآن ـ محمد ثقفي تهراني ـ ج ١ انتشارات برهان .

١٥ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ج ١ ـ دار الشروق .

١٦ ـ التفسير الكبير ـ الرازي المجلد الخامس ج ٩ .

١٧ ـ الكافي ـ الكليني ـ ج ١ .

١٨ ـ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ـ محمد هادي معرفة ج ١ الجامعة الرضوية

١٩ ـ تفسير الطبري ـ الطبري ج ٢.

٢٠ ـ البرهان في علوم القرآن ـ الزركشى ج ١ دارالمعرفة.